بسم الله الرحمن الرحيم الخوف ظاهرة انسانية تعايش حياة كل امرئ من الناس ، في انفس الناس ومجتمعاتهم على تنوعها. واذا كانت الفلسفات، كما علوم الاخلاق والنفس قد لحظتها لتستكشف منبع الخوف ومصادر تحريكه، فإننا في هذا المبحث نريد تسليط الضوء على واقع الخوف في عالم الانسان ضمن مسير حياته وتراكم خبراته التأملية والتفكرية منها ،كما القدسية والعبادية وصولا لما يتصل بالبعد الاجتماعي والسياسي لهذه الحياة. لذا اطلقنا على المبحث عنوان: الخوف بين التفلسف والتدين وعوائد الايام. نريد منه البحث في التفلسف كروح تستدعي الفلسفة. والتدين كسلوك معنوي وحياني يستقي مشربه من الدين وعوائد الايام بما هي قلق وحذر دائم يعايشه المرء بمضمون القادم او معلومة. ويتصل سؤال الخوف وموضوعه دوما بالواقع من الامر والوهم الشاغل لصاحبه. والوهم حلقة من حلقات العقل او التعقل ان سما واستشرف الوقائع والحقائق صار عقلا. وان تدانا وتبعثر في تيه ازدحامات الاحداث والفروضات صار وسواسا قاتلا. فكم من وهم أبلس على صاحبه بأمن وراحة افتراضية اودت به الى الضياع والتبعية حتى العبودية. الى درجة ان اسماه بعضهم لص السعادة. ذلك ان للوهم قوة تحكم وسيطرة على كل ما يستنبشه من معاني الامور التي تعرض امامه. بل قد تناقضها غالبا. ومستوى تحكمها قد يصل الى درجة التحكم بالموقف النفسي والعملي، حتى لو اثبت العقل عدم صدق ما ذهبت اليه الواهمة من ذلك. على سبيل المثال الاشمئزاز من العسل كما يضرب المثل لتوهمها انه مر بسبب شبه ما بصورة ما جربه هذا المرء فكان امرا مرا وكلما اتسعت دائرة الوهم في مسائل حياتنا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية كلما تعمقت في الوجدان النفسي اكثر. بحيث تصل الى الدرجة التي قال فيها مالك بن نبي :عقدة وهم قابلية الاستعمار. والتجارب اثبتت ان مواجهة مثل هذا الوهم يحتاج الى ان يعود المرء الى نفسه بشجاعة من المغامرة القاسية ليكسر القيود الواهمة. ثم لينتمي الى بيئة مختلفة عن مسار عقده. او ليقم تكرارا بفعل يخالفها مرة بعد مرة مستعيدا توازنه راجيا الخلاص منها ومن نمطيتها. مستعينا بمن او بما يثق من الواقعية والعقل والدين.ولا اجافي الواقع لو قلت ان اكثر ما تعاني منه الشعوب المتخلفة هي لذة المتابعة العمياء للمتحكمين فيها. الذين نمطوها بنمط السعادة في الارتزاق على حساب كرامتهم. فباتوا يقولون ويكتبون ما يملى عليهم. ويخاصمون الامم والناس وفق معيارية رضا الحاكم والمتسلط ، وان سبيله هو الرشاد. وما اهديكم الا سبيل الرشاد". ذلك ان فرعون اوهم قومه. اما طغاة العصر فهم ادخلوا في عقل ووجدان امم العالم انهم هم الاحق بالاتباع. وان ازدهارهم الحي يكون بوضع مقدراتهم بيد المستبد. الذي يرسمه له. وعليهم بذلك بذل كل ما يملكون. فداء لرضى المستبد وتجنبا لسطوة غضبه. وهنا تكمن عقدة عصابية الخوف الحضاري. هو في حجب الخوف عن الواقع.وفي عدم فهمه على نحو سليم. وما ينبغي الاقرار به ان المساحة التي اولاها الدين لهذا الموضوع هي اوسع واشمل بكثير مما خاضته الفلسفات ،على تنوعها فيه. حتى لا اكاد ادعي ان ما من فرصة لممارسة قول وفعل التفلسف دون العودة في هذا المجال الى مساحات الدين، سواء في نصوصه الوحيانية او المؤسسة او المؤولة. كما الممارسات الدينية من تصورات وسلوكيات من تصورات التغيير. فعلي ابن ابي طالب الباكي المرتجف في صلاته هو عينه الناظر الى اقصى القوم عند احتدام النزال. اذ يواجه الموت بالموت ولا تأخذه في الله لومة لائم.وللباحثين في كربلاء والحسين النموذج الثري لمثل هذه المعالجة. وهو الممسك بسكين ذبح وريد وارث ذكره وقرة عينه وروحه. هذا الرجل الامة في ذاته هو عينه. كان محطم الاصنام ومسخف اوهام اكبر الالهة. وشروق الشمس بعد غروبها بسنة الله في تتالي الات الزمن. وما تبديد الخوف الوهمي الثاني.الا بفعل الخوف الواقعي الاول لدى ابراهيم بعظمة الحق وخشيته سبحانه. وقبل الانتقال الى المعالجة اشير ان لا حق لقائل الذهاب الى ان هذا ماض واسطورة من القول. فها هي غزة اليوم مدينة الصلاة وقطاع الجهاد تواجه فعلا وقولا تبديد فعل الخوف المشحون بغطرسة وهم قوة اسرائيل ومن خلفها. وانها القضاء والقدر الذي لا مرد له، بعد ان تمترست بالثقة والتوكلعلى الله. كما اليمن الذي نفض عنه التبعية اعتمادا على النهج القرآني والمسار القرآني لقائدها الشهيد.بل ان ما من حركة تحرر طبيعية اليوم، الا وتجلببت بفعل التفلسف والتدين في كسر وهم الخوف من عوائد الايام والحكام ،متمسكة بخوف واقع الخشية المولج رجاء بالقاهر العظيم الرحمن الرحيم. وقد صاغت معاد التفصيل حقيقة الخوف بين تيارين اشارت اليهما الآية القرآنية: انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافوني ان كنتم مؤمنين".ان كل خوف حاصل من فاسد أو بفعل فساد يدخل في إطار المنبع والسمة الشيطانية، وكل حاكم أو متحكم برزق الناس أو مكانتهم و رغباتهم في فسطاط أولياء الشيطان، الذي ينزغ في نفوس الناس وهم الخوف من اولئك الأولياء الذين أشارت إليهم الآية وهم قادة التحكم في الفساد. كما يضعنا امام تساؤلين من هو الشيطان؟ وكيف يؤدي مهمة التخويف من أوليائه؟أما على المقلب الآخر فهناك فسطاط الله أو صراطه، والخوف الحقيقي لا يكون إلا منه شرط تحقيق شرائط الايمان وحقيقة معناه. والملفت هنا أن الآية لم تتحدث عن خوفٍ من أولياء الله (أن لا تخافوا أولياء الشيطان وخافوا أولياء الله لم تقل الآية كذلك) بل خافون. إذ لا ينبغي للناس عند تحررها

Summarized by © lakhasly.com

من الخوف أن تعيش وهم الخوف من أحد أبدا أيٍ كان. الله وحده الضامن لمثل هذا الانعتاق من كل خوف وذلك بالخوف منه سبحانه، الله هو من يحررنا من ذاتنا وسرائرنا لكي نكون عبادا له أحرارا. يقول الإمام علي عليه السلام (لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا) . والجعل المقصود هنا فطرة التكوين الحر التي سواها الله في خلق الناس. وبناء عليه فكل تبعية للغير هي خروج عن طبيعة الحرية التي كرم بها الله عباده. أما التفلسف الذي نعنيه فله قصته وفصله المختلف عن موضوعات الفلسفة الأولى وإن كان يسعى للاستفادة منها فيما أشارت له من مباحث النفس وما ارتبط في مباحث السير والسلوك وقراءة صنوف العبادة العارفة.ولكن ما يعنينا هو أس الفلسفة الماثل بهدفية الكشف عن الحق وتمييزها عن الوهم، وجعل معرفتها عند النفس أعيانا لها أصالتها المؤثرة والمتأثرة.كما تعنينا الفلسفات التي درست الوجود بما هو كينونة إنسانية تشكل العواطف والمشاعر والميول فيها أدوارا مركزية، كما تملثه المعرفة والعقل والحدسيات وتسعى لتشكل هويتها من ملامح مما ينوجد فيه الانسان. الا ان الضابطة في هذه الممارسة الفلسفية أن يضع نصب عينيه جملة معايير منهجية أن لكل (لماذا) لأنه وأن لكل (علاقة ملاكا بين الجهات المتصلة كما في الموضوع والحكم) بنفس المستوى نحن معنيون بتناول الخصائص وما خلفها كصورة لجوهر الأشياء. عِبَرَ تدبر و تأمل عقل الخبرة فيها، وهذا يمثّل الطرف الأول من المعالجة، أما الطرف الثاني فهو النص الوحياني وتفرعاته الواضعة أمام الذات الإنسانية آيات من دلالات الوجود للأنفس والآفاق تشكل مفترقا متميزا في منبعه ومآلاته وسماته المعرفية والهادية والمشكّلة للمفاهيم والممارسات. ولا ضير أن نقول فيها فلسفة دينية أو مقدمات لفلسفة دينية بعد رسم جغرافيتها وحقلها الخاص عبر روح التفلسف والتدبر التديني في مظاهر الدين وانسانيته المتمظهرة على نحو التمثل بعد التمثل في مسار الدهر والتاريخ، لا على نحو الكون والفساد المنقض على وحدة النفس البشرية الانسانية وتحويلها إلى تمايزات عنصرية وطبقية وقومية إذ (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) ذلك أن قوام الفلسفة وروح التفلسف الغربي المادي انما تقوم على التجزيئ والفرز لإيجاد جدلية بين المتناقضات والمتضادات، لإيجاد استقلالية مفصولة لكل وحدة مفاهيمية تعود لتصير مجتمعية بينما يقوم التمثل بعد التمثل للترقي في المقولة والوحدات المجتمعية الى روح المصدر السيال التكاملي في القدرات والمتآلفات وصولا لمن هو داخل في الأشياء دون تمازج وخارج عنها دون تباين. فتصبح الحقائق الاجتماعية والانسانية مظاهر للأصل المطلق وحده رغم تغايره في الكنه وفارق في الكثرات بين المقامات المتنوعة والوحدات المستقلة عن بعضها فضلا عن مصدرها. على الاول يظهر الفاصل بين الخير والوجود وبينما هو شر وانعدام، وعلى الثاني لا معيارية لخير او انعدام وشرّ الا وفق ما يتناسب مع كل وحدة مستقلة (مسالة النسبية ان صح التعبير) وهي النسبية التي أفضت إقصاء المطلق واستبدلته بالمطلق الذي رسمته كالواجب الطبيعي ثم صيرته الى نسبية المصلحة وحضور الذات المستقلة عن كل مستقل ومصدر. الأمر الذي دفع لتداول فعل فلسفي تلته الفلسفة المعنوية تقوم إما على النتوءات الذاتية والنفعية أو تلك التي تنقلب على التفتت لتوحدها الخبرة الانسانية للانسان المتصل وجودا بالمطلق والمعبر بهويته عنه اي المطلق. وهو ما نذهب إليه في مقولتنا حول الخوف الحقيقي الخشية (خوف الخشية) وبين وهم الخوف الناتج عن قلق الآن والزمن اللحظوي. معنى الخوف ومسارات تداوله:جاء الحديث حول الخوف بما يتعلق بالمكروه، أما الخشية فتتعلق بمنزل المكروه أو المؤدي إليه كما جاء في الفروق اللغوية للعسكري.إذ قال إن الخوف هو توقع الضرر المشكوك في وقوعه والحذر توقي الضرر سواء كان مظنونا أو متيقنا. كما جرى الحديث عنه عند أرباب القلوب أن الخوف تألم النفس من العقاب، والخشية حالة تحصل عند الشعور بعظمة الحق وهيبته وخوف الحَجْب عنه وتظهر آثارها في السر والعلنية من كثرة البكاء والتحرق وملازمة الطاعات وقمع الشهوات حتى يصير جميعها مكروها لديه وزال عن القلب الكبر والحسد والحقد كما ظهر الانكسار. ولا يصير له شغل الا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والاحتراز من تضييع الاوقات والانفاس ومؤاخذة النفس في الخطوات والخطرات. واما الخوف الذي لا يترتب عليه شيء من هذه الآثار فلا يُستحق أن يطلب عليه الخوف إنما حديث نفس يعني وهم كما جاء فيما نقله المحقق الطوسي بأوصاف الاشراف.فالخشية اذا خوف مع تعظيم ويكون عند علم بمن يُخشى منه (إنما يخشى الله من عباده العلماء)وهذا لا يعني انحصاره عند صنوف العلوم وأهلها. بل هو لكل عالم بالله عظمه فخشاه.ولو كان ممن يسميه الناس أنه من عامتهم.وكلها محكومة بالإمكان. وإن كان سيقع فعلا، فلما نطيل أمده.وهذا يعني أنه من إضافات النفس وعلاجها بإزالة أسبابها. وإن هاب أمرا في عالم إمكان الدنيا، فإن شدة توقيه أكبر مما يخاف منه، تربوي، أخلاقي،وناظر لاستمرارية حياة ما بعد زمن الدنيا الماثل فيه، الإيمان الوجودي بالحق سبحانه، مما يخشى منه الأحداث غير المتوقعة.والقاهر المرعب الأكبر فيها هو الموت.الذي تحضر معه عقيدة وثقافة القضاء والقدر. لذا نجد من يقف في مقابل هذا الطرح. مع ضرورة إقصاء الإله أو المطلق، وبالتالي يعمل على رسم سياسة تتعاطى مع فكرة الموت ومتعلقاته.بما يختلف عن القضاء والقدر،وهي جملة من الأمور الكبرى

Summarized by © lakhasly.com

التي قسمها صاحب كتاب "الخوف السيال.تكون إما أمور داخلية بسبب الألم المنبه للموت.أو أمور خارجة عن الإرادة البشرية، أو بأمور ترتبط بالناس في إشكاليات أسباب الحروب والمجازر ونظم الحقوق،وحفظ القوانين، مما يحقق استبدال معالجة الخوف بالمعرفة والتقانة بدل الله والقدر.بل هو بسبب عقدة الخروج من رحم الأم إلى الدنيا.ويبقى ملازم للإنسان، حسب فرويد، وهناك خوف وقلق وخوف وقلق الضمير الأخلاقي بفعل سلطة الموروث.وهناك الخوف، وفق جملة من الحالات النفسية المصاحبة لمسار الإنسان. أو العطاء مما يخشى معه ضياع الجهد والثمرة، فيحترق بالندم،وقد ذهب الذاهبون في الخوف مذاهب شتى، حتى قرنوه بالقلق.وسؤال الوجود، وقد أدت بحسب صاحب كتاب "الخوف السيال" إلى الخيبة كبديل عن الدين والإله، فاستبدلوه بآلهة هي إما مجموع من التكنولوجيات أو السياسات أو المصالح أو النظم. وأخطره الخوف من الفراغ. ولا أنت، ولا نحن.وهاويته السحيقة الموت إن الإنسان المبتور عن استكمال تمدد حياته لما بعد دنياه، يصل، ففضلا عن قصور العلم عن المداواة والتكنولوجيا الترقب.عن إبعاد شبح الكوارث الطبيعية، مثلا لم يفي بأداء المطلوب على نحو دقيق، ودمج الوعي بالذات في هوية الوطن، والقومية،أو إجراءات تحصين المجتمع من الكوارث القاهرة كما الكونية لحفظ الحقوق، فضلا عن السلامة.ومحاكم الحقوق ودعاة الإنسانية.مؤسسات تتبع في تضارب المصالح جهة الأقوى نفوذا، والأمنع في غنى المقدرات، وقلق الإنسان الوجودي على منزلق الخيبة، مما أوغله في بحث عناصر الهرب من الخوف إلى الفرد بعينه، وبصورهما المتنوعة والمترددة في كونها سواء على نمذجة تشابه العلاقة مع الهواتف الذكية، أو لعبة التسوق، والمتاجرة الافتراضية لتكون دنيا الإنسان.المبتور عن مصدر وجوده، تعبيرا حيا وصارخا، وبمورد آخر عبر عنها بالمتاع، "ذلك أنهم قالوا وما نحن بمبعوثين "هذا الوجه الحضاري للإنسان المهدد في هاوية الخوف المدمر،تشكل اعادة بناء العمق والهيكل العام لحضارة الانسان.في مآلات مصيره الدنيوي الموصول، وجودا وهوية مع امتداد الحياة التالية للدنيا، ومن تلك المفاهيم المؤسسة. وهو مسار أطروحة زاوج بين بين أمرين.العذاب من ذلك قوله "يا أيها الذين آمنو قووا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غضاء شداد"، أو قوله سبحانه "يا أيها الذين أملوا آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم"وفي الثانية ترتيب بكيفية الخروج من العذاب الأليم.وهنا يتقاطع الترهيب والترغيب في شأن المصير الإنساني،لكن لننطلق بالمعالجة،/ لأنه فيها ادعاء بحسب قول أمير المؤمنين، كما سيأتي/، ولا عامل الخوف ، يستدعي عبادة الله وهو المعرفة، وجدتك أهلا للعبادة، لأعلمت أهلها أني أحبك. إن التمحض في التوجه إلى الله هو الذي يجعله يخاف عقابا.ويرغب بثوابه، ويرضى بقدره،لكن يبقى السؤال.أين يقع الخوف من النظام العبادي؟ وهنا لا يفوتنا أن نشير كون الناس في تدينها. عبودي واضح،ا إنهم يدخلون عالم التدين إما وفق الظروف التي ينشئون فيها.أو بسبب رفقة ما؟او بسبب التماعة ايمان حدثت في نفوسهم. أو الرغبة، فضلا عن المعرفة/ إلا بالنادر الأقلية جدا.لذا، فإن سلوك أي من هذه السبل هو سمو في العبادة والتعبد الله،تفريغ من الدقيقة ٣٥ للآخروالّذي يخاف الله هو الأقرب للورع والتّقوى فيسمى بالعابد أو الزّاهد وهذه مراتب عالية بل هي لا تتمّ إلّا بعد ما تطوي النّفس سيرها عن التّعلق بأوهام الرغبة والرهبة الدنيوية البحتة واستبدالهما بنحو من التّوجّه نحو الخوف الحقيقيّ وما يشكّل مورد رغبةٍ حقّة وهذا لا يحصل إلا بعد التفات صاحب التدين إلى ما تعرضه الدنيا من وقائع ومعرفته بطبعه وطبيعتها وبينما يعرضه إيمانه من وقائع خلف الحدث والظاهر من الأمر في نفس الحياة الدنيا وما يتلوها استمرارًا للحياة بكل عناصر اللذة والشقوة والقلق فيها، وأن يتوجّه بكلّه ليرسم لمشاعره صورة جديدة تنبع مما يترتب على إلقاء الفكرة بعد الفكرة والمشهد بعد المشهد ويحيله الى مصدره فهل هو بفعل وهم أو هو آيات تشير إلى حقيقة المعرفة؟ ـهنا جدليّة المعرفةـ هل هو وهم؟ أم غلاف يريد أن يأخذني نحو حقيقةٍ ما وهذا ما يسمّيه القرآن بالعلم المولد للخشية، إنّ المشهد الذي استعرضه القرآن للتناسق الجماليّ في خلق الله سبحانه وصورة العظمة فيه تحرك المشاعر الداخلية للتأمل وتدفع الذهن نحو التطلع إلى مصدر الوصول إليه، إلى اتّجاهه، إلى دوره وموقعه، يعيد تشكيل الوعي بالطبيعة الجامدة ويحوّلها إلى وجود حيّ ينطق بلسان الهيبة والجمال عن مغزى ومعنى الخلائق الآيات، وبمثل هذا الالتفات يصير خاشعًا عن علم وبصيرة، سواء كان زارعًا أو مصوّرًا موهوبًا، أو مرفّهًا عن نفسه، حينما تتحرك مشاعره وتهمز بقوة لحقله الوجدانيّ والمعرفيّ فيحدث بما يتراءى خاشعًا ويصير عالمًا وفق مقام التّديّن وهذا ما ينقله الى أحد المسالك الثّلاث، وأقربُها الخشية المتّصلة بالخوف أحيانًا على نحو الاستقرار إذ ينقلب معنى الخوف من وهم الظّاهر إلى حقيقة الخوف من المُظهر وهو الخشوع، فيتغيّر معنى الخوف بتغيّر مُبتَدِئِه ومآله، فيُعمل ديناميّات مختلفة يستبدل الشّكّ بالاحتراز، والقلق بالانهمام الدّائم، ومنزلق اليأس بالثّقة بما عند الآخر المطلق من غِنًى ولطائف فضل، يبني طلبه على الرّجاء لا على الاستحقاق، ممّا لا يُطفئ عنده جذوة بذل الفعل والجهاد بالتّواكل بل بالاسترشاد الهادي لقوله سبحانه: «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا».ليصير من يتّقي الله يعلّمه الله، ومن

Summarized by © lakhasly.com

عَمل بما علِم علّمه الله ما لم يعلم، إنّها ارتكازيّة على الفاعل المطلق تتجاوز حدود التّكسّب العلميّ والمعرفيّ، وبهذا فإنها تتشكّل بشكل مختلف عن مألوف ظواهر الأمور وانغماساتها المتوهّمة العارضة التي تنقضي بما أسميناها بالإنسان المبتور أو مع الإنسان المبتور، لكنّ المفارقة المركزيّة هنا أنّ هذا التبدّل لا ينسف الواقعة أو الأشياء أو حتّى وضعيّات المجتمع وبُناه والقوى وما تمتلكه أو تستحوذ عليه، بل هي تشتغل على أبعاد أخرى، فأن لا تخاف عدوك مثلًا هذا لا يجعله قويًّا أو ضعيفًا بل هو يُمكِّنك من مواجهته أو غَلَبته لأنّه يُقدرك على نزع وهم الخوف منه والتّجلبب بالقدرة على المواجهة وذلك عبر تفعيل مشاعر الثّقة والقدرة وتحضير الذّات عبر تمكين الإرادة بالقيام بما ينبغي ليتحوّل الأمر إلى موقف وفعل واقعيّ، عن الإمام الصّادق (ع): «ما ضعف بدن عما قويت عليه النّيّة» فهي إذًا لا تتبدّل بتغيير الأشياء بل بتغيّر مضامينها المعنائيّة وبالتالي مستويات الفاعلية والطاقة فيها، وبناءً على هذا فإنّ ربط الخوف بالمطلق هو ربطٌ بمسبّب الأسباب دون أن يعني ذلك التّنكّر لفاعليّة الأسباب المباشرة بل إنّ إيلاء أهميّة خاصّة للأسباب المباشرة ضرورة في معالجة الجانب الفيزيائيّ والماديّ من الأمر بما فيه أحيانًا التّأثيرات المرتبطة بعلم النّفس أو الإعداد اللّازم لمواجهة الخطر وهذا لا يخرج عن دائرة جدليّة دفع الوهم وتركيز الحقيقة في معالجة موضوعة الخوف فالظّاهر ينبغي أن يأخذ كلّ حقّه في التّعاطي معه بعقلانيّة،

Summarized by © lakhasly.com